

المحاضرة التاسعة عشرة

اثر الحضارة الإسلامية على الحضارة الأوربية (١)

في الوقت الذي أقام المسلمون حضارة راقية على رقعة امتدت من حدود الصين شرقاً إلى جبال البرانس في فرنسا غرباً، كانت أوروبا تمر في دور انحلال وتأخر، فكان أن اقتبست أوروبا من الحضارة الإسلامية وفي شتى صنوف المعرفة والحياة. وقد تم اللقاء الإسلامي - الأوروبي في ثلاثة مناطق :

الأندلس - صقلية وجنوب إيطاليا - ومصر والشام .

بدء تأثير المسلمين في أوروبا منذ القرن ٨ هـ ، وقد اتخذ هذا التأثير صور شتى ، ويمكن تمييز ثلاثة مراحل لأثر الحضارة الإسلامية في أوروبا ابتداءً من بدايتها الأولى حتى عصر النهضة : عصر التأثير الغير مباشر - عصر الترجمة من العربية إلى اللاتينية - عصر الاستعراب (قمة التأثير الإسلامي) .

١ - عصر التأثير غير المباشر. بعد استقرار المسلمين في الأندلس لثمانية قرون بلغت الحضارة الإسلامية أوجها في حواضر قرطبة وغرناطة وأشبيلية وبلنسية وطليطلة وسرقسطة ، وكان النابهون الأوروبيون يأتون الأندلس للدراسة ومنهم الراهب الفرنسي جبريل دى أوريال أيام الحكم المستنصر فدرس بمعاهد برشلونة وقرطبة واهتم بدراسة العلوم الطبيعية والرياضية ، وبعد عودته أصبح بابا روما باسم البابا سلفستر الثاني وكان له دور في نشر العلوم الإسلامية في أوروبا ، وقد وجدت نسخة لاتينية من حكم ابفراط من أصل عربي كانت تدرس في شارتر بفرنسا ، وهذا يعني وجود نفوذ ثقافي عريبي مبكر ، إذ أن الغرب كان يجهل الحضارة اليونانية ولم يطلع عليها إلا من الترجمات العربية . وقد استفاد هرمان الكسيح من الترجمات العربية التي وجدت في شارتر ، واستفاد من الطلاب الأوروبيين العائدين من الأندلس ويمرون بدير ريخناؤ الذي يقيم فيه هرمان الكسيح وعنهما نقل الكسيح ما جلبوه من الآلات الفلكية العربية كإسنطراب .

ثم بدأتبعثات الأوروبيين حتى بلغت سنة ٣١٢ هـ أيام الناصر زهاء ٧٠٠ طالب وطالبة ، وكانت إحدى البعثات بعثة فرنسية بزعامة الأميرة اليزابيث ابنة خال لويس السادس ملك فرنسا ، وبعث فيليب ملك بافاريا بعثة برئاسة وزيره ويلميدين (وليم الأمين) ، وأوفد جورج ملك ويلز بعثة برئاسة ابنة أخيه ومعها ١٨ فتاة إلى أشبيلية ، وقد تم الإنفاق على هذه البعثة من مال المسلمين . وكانت هذه البعثة تتالف من ٢١٥ طالب وطالبة ، وقد اعتنق ثمانية منهم الدين الإسلامي فلم يعودوا لبلادهم ومنهن فتيات تزوجن من مسلمين وأنجبت إحداهن الفلكي عباس بن مرداس .

عمد بعض ملوك أوروبا استقدام علماء الأندلس لأوروبا لتأسيس المدارس، وقد وقعت حكومات إنكلترا وهولندا وسكونيا عقود مع ٩٠ من أساتذة الأندلس بمختلف العلوم والذين يجيدون اللغتين الإسبانية واللاتينية مع العربية ، ووقع مائتي عقد مع خبراء في الصناعة خاصة صناعة السفن والنسيج والزجاج والبناء والزراعة ، وأقام عدد من المهندسين العرب أكبر جسر على نهر التايمز في بريطانيا عرف باسم جسر هليشم Helichem تحريف لكلمة هشام خليفة الأندلس ، وشيد مهندسون آخرون قباب الكنائس في بافاريا .

فتح المسلمون صقلية سنة ٤١٢ هـ أيام الاغالبة وخضعت هي وجنوب إيطاليا للحكم الإسلامي حتى استردتها التورمان سنة ٤٨٤ هـ ، وقد انتشرت فيها الحضارة الإسلامية مما أدى لنسراب الحضارة الإسلامية إلى أوروبا عن طريق صقلية منذ وقت مبكر ، وكان أول من نقل للغرب سفنجة التخدير العربية هو جاريو بونتس ت ٤٠ هـ التي حصل عليها أما من كتاب عربي مترجم أو من أحد المعلميين المسلمين هناك .

٢ - عصر الترجمة من العربية إلى اللاتينية : اهتموا أولاً بنقل العلوم العربية المنقولة عن اليونان ثم ترجمت العلوم الإسلامية ، فبعد أن استرد الأسبان طليطلة عام ٤٧٨ هـ أصبحت

على الحدود بين مسلمي الأندلس ونصارى الأسبان وأوربا ، وامتازت طليطلة بكثرة مكتباتها فقامت فيها حركة ترجمة من قبل هيئة حرة من المترجمين نقلوا الكتب الإسلامية إلى اللاتينية ، وأسس ريموندو مطران طليطلة معهدا برئاسة دونمنجو غنصالفة لترجمة الأعمال العربية ، وكانت الطريقة أن يقوم يهودي مستعرب بترجمة النص العربي شفويًا إلى الإسبانية العامية ثم يتولى Gnصالفة ترجمته إلى اللاتينية ، فترجم Gnصالفة مؤلفات الفارابي وابن سينا والغزالى ، وترجم ادلارد الباثى جداول في علم الفلك لمسلمة المجريطي ، وترجم جيرار الكريموني كتاب القانون في الطب لابن سينا وكتاب التصريف للزهراوى وهو أشهر كتاب في الجراحة ، ثم أخذ علماء أوربا يفدون إلى طليطلة وترجموا العديد من الكتب العربية ككتب ابن سينا ترجمة ميخائيل سكوت ، وترجم ماركوس القرآن الكريم ، وفي عهد الفونسو الحكيم انتشرت حركة الترجمة من العربية للإسبانية فترجم كتاب كليلة ودمنة ، وعشرات من كتب الفلك فتقدمت الدراسات العلمية في إسبانيا أولاً ومنها انتقلت لأوربا ، وأنشأ الفونسو الحكيم جامعة أشبيلية وخصصها لدراسة العربية واللاتينية .

ولما تولى رودجار الثاني ملك صقلية كان شغوفا بالثقافة العربية وقد عاش في كنه الغرافي الشريف الإدريسي مؤلف كتابة نזהه المشتاق ، وقد أصدر رودجار أمرا يلزم من يزاول مهنة الطب الحصول على إذن خاص من موظف مختص وهذا تقليد عربي في مجال الطب ، وفي عهد ابنه جيوم الأول نشطت حركة الترجمة من العربية واليونانية ، فترجم وزيره انريكورستبو كتاب الآثار العلوية لأرسسطو من اليونانية وترجم كتاب المخططي من العربية إلى اللاتينية . أما ملك صقلية فريديريك الثاني فأنشأ جامعة نابولي وجعل منها أكاديمية لنقل العلوم العربية إلى أوربا وكان معجبا بالفلسفه العرب واستقدم لبلاده علماء مسلمين ومسيحيين ويهود منهم ميشيل سكوت الذي ترجم شروح ابن رشد .

وكانت الحروب الصليبية طریقا آخر لانتقال الحضارة الإسلامية إلى أوربا فقد وفرت مجال للاختلاط بين المسلمين والأوربيين فنقل الأوربيون الكثير من معارف العرب وعلومهم وصناعاتهم وحصلوا على الكثير من الكتب العربية ومنها الفن القصصي والأسطوري للحضارتين العربية والبيزنطية .